كان معتكفا فاتيته وتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار
فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما
وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف
بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا
ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط وانشد بعضهم
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة
الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا
للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره
من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة
الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعه لم اقدر عليه وفي هذا القدر
ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فان
قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله
فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره
وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد
على ما سياتي نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات
ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا
بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له
على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا وخصص تعالى ذلك بالتقى ومثال الشيطان كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز
ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولا يندفع
بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب
دفع حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما
قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا بالشهوات بل لخلوها بالغفلة عن
الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الايات والاخبار
الواردة في الذكر وقال ابو هريرة رضي الله عنه التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر
سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك

الامام رجل

قال الامام رجل ان اكل شيئا فاظل جائعا وان شرب شيئا فاظل عطشانا واذا ادهن شيئا فاظل شعثا واذا
لبس شيئا فاظل عريانا قال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما قلت فانا اشاركه في طعامه
وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت
علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك
وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء
قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال اللعين قال
وما تريد قال اريد الا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع ما
شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم
بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله
التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما
يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال
الحسن نبئت ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك
فاذا اويت الى فراشك فاقرأ اية الكرسي وقال عليه السلام لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت
بحلقه فو الذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان عليه
السلام لاصبح طريحا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا
لان هذه القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهو الشهوة فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان
عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل
الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية
المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع
الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان
بعمله فقد تولاه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم
يفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة
وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان
الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك
لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلاة
محك القلوب فيها تظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبلها القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم

Copyright © King Saud University